مصطلحات الممارسات الأنثروبولوجية المنهجية

تمهيد

لقد كانت أولى الأبحاث الأنثروبولوجية موجهة للإشتغال حول مفهوم الثقافة وتصنيف الثقافات، وكيفية حدوث طفرات تؤدي إلى التطور، وكانت الإنطلاقة باستلهام مفاهيم تبلورت داخل حقل الطبيعيات، كفكرة التطور عند تشارلز داروين، وكان سؤال الإنطلاق: كيف نشأت حضارات العالم وتطورت؟ هذا السؤال الكلاسيكي تبلور وأعاد نفسه داخل مناخ فكري تطوري في إطار المدرسة التطورية لكن الإجابة على هذا السؤال لم تتوقف على ما قدمه التطويريون، بل أدت إلى إفراز إتجاهات أخرى كالإتجاه: الانتشاري، الوظيفي، والبنيوي.

هناك نظريات كثيرة في الإنثربولوجيا نظرت إلى مختلف جوانب حياة الإنسان ، سواء أكانت ثقافية، سياسية، إقتصادية، إجتماعية، فنية... ولكن من رؤيتها وموقفها و منهجها وتفسيرها لهذه الجوانب والمجالات ،هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فإن هذه النظريات تدل على حيوية وفاعلية البحث الإنثربولوجي ، وعلى أنه بحث متواصل ومستمر يتكيف مع التغيرات ويبدع حولها تنظيرات ومفاهيم ومناهج . لكن بحثنا اليوم سيقتصر على أربع نظريات هي النظرية التطورية ،الإنتشارية والوظيفية، والبنيوية ... ومن هنا نطرح التساؤل ما مضمون هذه النظريات؟ ومن هم أقطابها ؟

1. التطورية:

لاحظ العالم الانثروبولوجي إدوارد تايلور (1832-1917) أن الأدوات التي يستخدمها الانسان تتصف بالبساطة كلما اقتربنا من الماضي السحيق للبشرية، وأنها تكون أكثر تعقدا كلما تطورت الحياة البشرية. وقد استدل تايلور من خلال هذه المشاهدة على وجود تطور ثقافي من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المعقدة، ولذلك ذهب إلى تقسيم تاريخ التطور الثقافي إلى ثلاث مراحل وهي: مرحلة الوحشية، مرحلة البربرية وأخيرا مرحلة التمدن، كما أنه وضع تعريفا للثقافة يعد الأكثر شهرة وإستخداما في كتابه (الثقاف البدائية): "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع"[1].

—

1 محمد حسن غامري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، 30.

ويؤمن علماء هذا الاتجاه أن الكائنات الحية تطورت من البسيط إلى المعقد , وحاول تفسير المراحل التي مر بها الأنسان أثناء تطوره واعتبروا أن الأنسان نتاج لمرحله تطور طويله الأمد . يؤيد علماء الاتجاه التطوري فكرة التقدم والارتقاء وأن المجتمعات مثل الكائنات الحية تسير من البسيط إلى المعقد , ومن المتجانس إلى اللامتجانس ومرات بثلاث مراحل: متوحشة، البربرية والمتحضرة.

عناصر النظرية التطورية

1/ الحتمية التطورية: يؤمن علماء التطورية بأن التطور طبيعي وحتمي ولا يمكن أن تظل المجتمعات على ما هي عليه فالثبات معناه الموت والفناء , ومن أبرز آراء (أوجست كونت) الذي ير أن الفكر الإنساني يمر بثلاث مراحل:

- المرحلة الإلهيه: وفيها ترد جميع الأشياء إلى الآلهة كغضب الله أو رضاء الآلهة
- المرحلة الميتافيزيقية: وفيها يرد الأفراد الظواهر لقوى ما وراء الطبيعة .
- المرحلة الموضعية: وفيها يحاول الفرد تفسير الظواهر بشكل علمي موضوعي

2/ التقدم التصاعدي إلى الأمام: يرى علماء النظرية التطورية أن التغير يسير دائما إلى الأمام فهو يتطور من البسيط إلى المعقد .

3/ تتابع المراحل: يؤكد أن التغير يسير بخطوات ثابتة ومراحل متتابعة.

2. الانتشارية:

برز هذا التيار النظري من الانثروبولوجيا حول نهاية القرن التاسع عشر بهدف استبدال قوانين التطور بقوانين الانتشار: يعتقد مناصرو هذا التيار بوجود سمات ثقافية متشابهة في مجتمعات مختلفة وهذا ما يتفسر بانتشارها انطلاقا من عدد صغير من المراكز الثقافية.

1/ بدايتها:

بدأ هذا التيار في ألمانيا، متخذا شكل نمط صنع الأقواس الافريقية، وأوضح الجغرافي فريديريش راتزل (1844-1904) دور الحركات المهاجرة بوصفها "سيرورات حضارية" تسمح بنشر التقنيات، ومن جانبه وسع ليو فروبانيوس (1873-1938) نظرية "الدوائر الثقافية"، مراكز الحضارة التي انتشرت على بقعة معينة.

سمحت هذه الفكرة بصياغة فرضية التأثيرات المتوسطية على الحضارات الافريقية وتصنيفها ضمن ثقافات مختلفة. بتصنيف الأشياء بحسب أسلوبها أشار حافظ متحف مدينة كولن الالمانية فريتز غرابنر (1877-1934) إلى وجود ما يعرف بالمركبات الثقافية.

رغم الفرضيات المتعثرة أسهمت هذه المدرسة بتنمية المعارف الانثروبولوجية.

2/ أرجع علماء هذه النظريات التشابه الثقافي إلى الانتشار والاستعارة الثقافية وانقسموا في ذالك إلى نظريتين :

أولاً : نظرية المركز الواحد:

يرى أنصار هذه النظرية أن الانتشار يعتمد على الأصل المركزي الواحد للحضارة وأرجعت نشأه الحضارة الإنسانية إلى الحضارة الفرعونية.

ثانيا : نظرية الدوائر الحضارية:

يرى أنصار هذه النظرية أن الحضارة الإنسانية ظهرت في عدة مراكز حضارية.

3/ شروط نظرية الإنتشارية:

- أن يكون النمط الثقافي ذو قيمة أو فائدة للفرد المنقول سوا كانت هذه القيمة مادية أو اجتماعيه أو نفسيه والقيمة قد تكون وقتية أو دائمة.
- توفير الإمكانيات المادية لنقل العنصر.
- وجود تقبل للعناصر.

4/ أنواع الانتشار:

- **الانتشار المقصود:** هو الانتشار المخطط له من قبل الأفراد.

- **الانتشار غير المقصود:** هو الانتشار الذي يتم بشكل تلقائي دون تخطيط مسبق.

5/ تعرضت النظرية الإنتشارية للكثير من الانتقادات ومن أهمها:

1/ انتقد علماء النظرية التطورية أفكار النظرية الانتشارية ويرو أنه ليس هناك ما يدعمها في الواقع في مبنية على الظن والتخمين .

2/ ليس هناك مايثبت فرضياتها .

3/ إن التشابه بين المجتمعات حدث في مجتمعات متباعدة جدا بالمكان والزمان مما يستبعد انتقال الثقافة.

3. الوظيفية Functionalisme:

رغم أن هربرت سبنسر هو أول من استخدم هذا المصطلح، إلا أن دور كايم منح أفكار سبنسر المزيد من التحديد والدقة، وذلك بتأكيده أن تفسير أية ظاهرة اجتماعية يقتضي، أولا، اكتشاف الاسباب التي تقود إليها ثم الوظيفة التي تمثلها في مجمل الفاعلية الاجتماعية. ويمكن اعتبار إميل دور كايم (1858-1917) بمثابة رائد للمدرسة الوظيفية، رغم أن إطار أعماله وعمقها كانا من الاتساع بالقدر الذي جعله أحد أشهر المفكرين السوسيولوجيين في القرن التاسع عشر. كما أنه بالإمكان العثور على صلة ما تربط فكره بالمدرسة العضوية من جهة وبأولئك الذين يعتبرون علم الاجتماع تركيبا للعلو الاجتماعية من جهة ثانية.[2]

كما يعتبر عالم اللسانيات الفرنسي أندريه ما رتينيه (1908-1999) أبرز وجوه الوظيفية، وهو الوارث لبنيوية سوسير ولمدرسة براغ التي شارك فيها، وأدخل اليها فكرة الوظيفية.

تحتل الوظيفية مكانا مرموقا داخل النظريات السوسيولوجية المعاصرة، ولا نكاد نجد باحثا في علم الاجتماع والانتروبولوجيا إلا وظهرت في أعماله وتفسيراته ومنهجه خصائص الوظيفية، بل إنها من أوسع الاتجاهات انتشارا في دراسة الظواهر الاجتماعية.

2 ف.ج.رايت، مبادئ علم الاجتماع، تر: حمد شيا، دار الحداثة، 1996، ص 30-31.

والوظيفية هي اتجاه فكري في علم الاجتماع يتألف من عنصرين مترابطين، يتمثلان في نموذج تصوري للمجتمع، وإطار منهجي لتحليل هذا المجتمع، ويعتبر مفهوم النسق هو الأساس الفكري للوظيفية، ولقد دخل هذا المفهوم إلى علم الاجتماع من مصدرين هما:

المصدر الكلاسيكي :كما يتمثل في الآراء الوظيفية في القرن التاسع عشر وبداية العشرين.

المصدر المعاصر: ويتمثل في نظرية الأنساق، وترجع الجذور التاريخية للوظيفية إلى النظرة العضوية للمجتمع، كما تبدت في فكر الرواد كونت وماركس وسبنسر، ثم تتابعت الحلقات الفكرية المؤدية إلى الوظيفية المعاصرة...

والاتجاه الوظيفي أقدم في البيولوجيا وعلم النفس والانتروبولوجيا منه في علم الاجتماع، فالبيولوجيا كعلم يدور حول فكرة أساسية وهي أن كل عضو وكل جزء من النسق (الكائن) يقوم بوظيفة أو عدة وظائف ضرورية لبقاء الكائن حيا، ولهذا تصورت البيولوجيا الكائن الحي على أنه نسق يتكون من مكونات مرتبطة وظيفيا.

وعلى غرار علم البيولوجيا فالنظرية الوظيفية جعلت من النسق الأساس الذي تنطلق منه في أي دراسة، بحيث اعتبرت أن المجتمع هو كل يتألف من عدد العناصر المترابطة والمتفاعلة بينها، ولها علاقة بالكل ، وكل جزء داخل المجتمع يؤدي وظيفة محددة.

أي أن النسق الوظيفي يستند إلى فكرة الكل الذي يتألف من أجزاء يقوم كل جزء منها بأداء دوره، وهو معتمد في هذا الأداء على غيره من الأجزاء، ومن ثم يقوم التساند الوظيفي بين الأجزاء وبعضها أو بين الأجزاء والنسق ككل.

فالعمليات الاجتماعية وما يتولد عنها من علاقات اجتماعية إنما تمثل نماذج سلوكية وليدة شعور الأفراد باعتماد بعضهم على البعض الآخر، وحاجاتهم لتبادل المشاعر، وترابط الأفكار والنشاط، وهي تؤدي إلى ترابطات بنائية في العلاقات الوظيفية.

و كمثال على ذلك فعند دراستنا لطائفة معينة، فإننا سنقوم بالتركيز على ثلاث أنواع من الوظائف:

أ-وظيفة زعيم الطائفة بالنسبة للمجتمع.

ب-وظيفة الأنساق الفرعية المترابطة داخل الطائفة.

ج-وظيفة زعيم الطائفة بالنسبة لأفرادها.

ومن خلال هذا المثال يبدو كيف أن التعرف على الظواهر الاجتماعية يتطلب الكشف عن ارتباط الجزء بجميع الأجزاء أو الظواهر الأخرى.

وعلى ذلك فإن ظهور الاتجاه الوظيفي جاء نتيجة لنظرة العلماء إلى المجتمع على أنه نسق واحد يتألف من عدد من العناصر المتفاعلة المتساندة التي يؤثر بعضها في بعض، ويعدل أحدهما الآخر.

وبذلك تعني الوظيفية الاجتماعية، الدور الذي يلعبه أو يؤديه النظام في البناء الاجتماعي (شبكة العلاقات المتبادلة من النظم أو الوحدات)، والذي يفسره البعض بأنه محاولة التعرف على مدى التشابك والتفاعل القائمين بين النظم التي تؤلف حياة المجتمع ككل، ونصيب كل نظام منها في الحفاظ على تماسك هذا المجتمع واستمراريته ووحدته وكيانه، كما أنها تشير أيضا إلى الإسهام الذي يقدمه المجتمع الكبير للجماعات الصغيرة التي يضمها. ونظرا لتعقيد وتشابك العلاقات الاجتماعية فالتحليل الوظيفي كان ضرورة، وأداة تحليلية أساسية للباحثين من أجل دراسة الأشكال المختلفة للتفاعلات والترابطات الاجتماعية.

وإذا كان التصور الكلي للمجتمع شرطا ضروريا للوظيفية، غير أنه ليس كافيا لتحديد معالمها. ذلك أن الاستناد إلى فكرة النسق أو حتى إلى مفهوم الوظيفية لا يعد كافيا لتمييز الوظيفية عن غيرها من الاتجاهات الفكرية في علم الاجتماع، ولهذا نرى أن ما يميز الوظيفية ويحدد معالمها النوعية هو ما يستخدم في هذا الاتجاه الفكري من طرق نوعية لتحليل الظواهر الاجتماعية التي يضمها النسق، وتتمثل هذه الطرق في الافتراض بأن الظاهرة موضع الدراسة تؤدي وظيفة معينة في هذا النسق، بمعنى أنها تمارس أثرا ملحوظا في تحقيق بقاء أو استمرار هذا النسق، والافتراض بأن في تحديد هذه الوظيفة التي تقوم بها الظاهرة تفسيرا للظاهرة ذاتها، ويعني هذا أن التفسير الوظيفي للظواهر الاجتماعية يركز الاهتمام في دراسة النتائج والآثار المترتبة على وجود الظاهرة أكثر مما يهتم بالبحث عن أسبابها أو مصدر نشأتها .

وإذا كانت النظرية الوظيفية مهمة في دراسة المجتمع إلا أن الأمر يبدو أكثر تعقيدا عند دراسة المجتمعات المعاصرة، والتي لا يمكن التعامل مع الأنساق داخلها كحقيقة قصوى، نظرا للتغير الشديد الذي تعرفه المجتمعات اليوم، وعلى العكس من ذلك فالمجتمعات البدائية يمكن دراستها على أنها مجتمعات مطلقة ثابتة لا تتغير إلا ببطء شديد.

وهو ما كان محل انتقاد للنظرية الوظيفية وقدرتها على مواجهة قضايا التغيير ومتغيراته، وواجه الاتجاه الوظيفي اتهامات كثيرة مؤداها أنه اتجاه اهتم بقضايا التوازن والتكامل وأهمل قضية التغير والصراع .

ولعل هذا ما أدى إلى بروز اتجاهات منهجية ترفض الوظيفية، كاتجاه سوسيولوجيا المعرفة الذي دعى له توماس كوهن، ومدرسة فرانكفورت وأيضا الاتجاه الماركسي.

وقد حاول عدد من الوظيفيين في وقتنا الحاضر من أشهرهم ميل سملزر Neil Smelser أن يطوروا مفهوما جديدا للوظيفية، بحيث تستوعب دراسة التغير، ومؤداه أن الوظائف التي يقوم بها نظام معين يأتي عليها وقت تنتشر بين نظم أخرى متباينة، وهكذا فإن شكلا من التوازن الاجتماعي يحل محل شكل آخر أكثر تعقيدا، وإلى أن يتم هذا الحلول من المتوقع أن يمر النظام بمرحلة من التوتر والاضطراب.

ومع كل تلك الانتقادات يمكن القول أن الاتجاه الوظيفي ساد في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين بشكل غريب أصبحت معه الوظيفية منهجا لمعظم الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، وأصبحت لها سمة مميزة وهي اعتبارها للمجتمع نسق اجتماعي وظيفي، وعلى هذا الأساس تم تحليل المجتمع وفهم ظواهره.

ومع أن رواد الوظيفية متعددون كدوركايم وباريتو وميرتون، إلا أنه لا يمكن الحديث عن الوظيفية دون الإشارة إلى كتابات بارسونز رائد الوظيفية المعاصرة.

ولقد كانت محاولة بارسونز في هذا الإطار تستهدف صوغ نظرية عامة في الوقت الذي سيطر فيه الاتجاه التجريبي على البحوث الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة عندما أصر على أن النظرية الشاملة هي أهم الدعامات التي يحتاج إليها علم الاجتماع. كما حاول قراءة تاريخ الفكر في علم الاجتماع برؤية جديدة حتى يتمكن من إيجاد نظرية واحدة بدلا مما هو قائم من نظريات متعددة ومتناقضة.

وحدد بارسونز خطة عامة تتألف من الخطوات التالية:

1- وضع إطار مرجعي 2- وصف العالم الواقعي في ضوء هذا الإطار المرجعي

3- تنسيق مجموعة من القضايا التي تلخص العلاقات القائمة بين الظواهر كما توجد هذه الظواهر في العالم الواقعي. 4- ربط هذه القضايا ببعضها في إطار نسق نظري مغلق من الناحية المنطقية.

وقد وضع بارسونز إطارا مرجعيا لنظرية الفعل الاجتماعي، واستخدم هذا الإطار المرجعي في وصف الصور الأساسية التي يتشكل فيها الفعل الاجتماعي في شكل أنساق: النسق الثقافي، النسق الاجتماعي، نسق الشخصية والنسق السلوكي، ثم حاول أن يفسر هذه الأنساق وبعضها أو تلك العلاقات التي تقوم بين العناصر التي يتألف منها كل نسق. مؤكدا على ضرورة وأهمية تحقيق التوازن بين صور الإطار المرجعي، أو بين العناصر التي يتألف منها، وكل اختلال في أحد هذه العناصر سيؤدي إلى خلل في المجتمع ككل والذي سيفقد بالضرورة توازنه، وهو ما يعني انهيار المجتمع.

ولقد كان بارسونز يعتبر أن الوظيفية هي منهج لفهم وتفسير الظواهر الاجتماعية، تماما كما هو الشأن بالنسبة لعلوم الطبيعة.

ولهذا اعتبر أن الظواهر الواقعية لا تكتسب أهميتها بالنسبة لأي دراسة علمية إلا إذا أمكن صياغة هذه الظواهر في ضوء إطار مرجعي. وتتحدد وظيفة الإطار المرجعي في أنه يحدد نطاق الظواهر التي يحاول العلم تفسيرها، ويتم ذلك عن طريق انتقاء جوانب من الواقع تعد ذات أهمية بالنسبة لتخصص علم من العلوم. تماما كما هو الشأن بالنسبة للعلوم الاجتماعية والتي يبقى دور النظرية الوظيفية داخلها هو الكشف عن طبيعتها والتعامل الواقعي معها.

الانتقادات التي تعرضت لها النظرية:

ومع أن النظرية الوظيفية تعرضت لانتقادات كثيرة، إلا أنه لا يمكن إهمالها أو تجاوزها بل إنها مازالت محل اهتمام من طرف العديد من مفكري العصر الحديث.

4. البنيوية:

لقد كان كلود ليفي ستروس أحد السباقين إلى الحديث عن البنية أو البنى وذلك من خلال كتابه سنة 1949 مطبقا فيه التحليل البنيوي، الذي اخذه من اللسانيات، لتحليل علاقات القرابة في المجتمعات البدائية. ثم منذ الخمسينات امتد البحث عن البنى إلى التنظيم الاجتماعي، الفن، المطبخ إلى الأساطير.

في هذه الأثناء كانت الموجة البنيوية قد انتشرت حيث أن رولان بارت بحث في كتابه سنة 1957 في الأساطير المعاصرة والموضة والأدب، فيما ذهب علماء اللغة والدلالة إلى دراسة القصص من كل نوع بهدف كشف البنى السردية الكامنة فيها.

"فيما يعتبر جاك لا كان أن البنى تعشعش في قلب لا وعي يبنى كما لو كان لغة، وفي الوقت نفسه كشف لنا ميشال فوكو عن البنى العميقة في الفكر الغربي، كما أن أندريه ليروا غورهان كشف عن بنى رآها على الرسومات الموجودة في كهوف ما قبل التاريخ"[3] .

" البنيوية أو البنية هي مجموعة من العناصر الثابتة المنسجمة و المتجانسة في بينها، وإذا حدث تغيير في أحد عناصرها كان الخلل في مجموع البنية مثال : جسم الإنسان هو بنية تتكون من عناصر أي الأعضاء كالقلب،الرئة ،العين والأذن ... فإذا حدث خلل في أحدها اختلت البنية في مجموعتها".

ماذا نعني فعلا حين نقول ب "البنية"؟

1/ البنية أو البنيوية تستند إلى بعض المبادئ العامة:

- **الثوابت:** أن يكون المرء بنيويا، يعني تفضيل البحث عن الثوابت، عن الاستمراريات، بل عن القوانين في تنظيم اللغة، القرابة، الاقتصاد، الأساطير واللاوعي. تفضل البنيوية البعد التزامني (اللاتاريخية) مقارنة بالبعد التعاقبي (التاريخي) للظاهرات. فالتاريخ لا يرى سوى التغير .

أما البنيوية فقد أولت اهتمامها للاستمرارية والثوابت في الواقع، إننا نهتم بالمجتمعات الباردة التي لا تاريخ لها" ليفي ستروس.

- **الأشياء المحجوبة:** تعتبر البنيوية مملكة اللاوعي، إذ من خاصية البنى أن تكون مخفية تحت مساحة الأشياء في علم النفس، أزاح اللاوعي الأنا عن العرش وكذلك حدثت في العديد من التخصصات. كما حدث في الفلسفة.
- **اللغة:** هي موضوع التحليل المفضل عند البنيويين ، فقد درس فوكو الخطاب الطبي والطب العقلي، ورولان بارت درس لغة الأدب ولغة الإعلانات. أما لاكان فقد اعتبر اللاوعي بنية تشبه بنية اللغة...إلخ.

3 جان فرنسوا دورتيه، معجم العلوم الانسانية، ص 151.

إلى جانب ذلك أدخل اللسانيون طريقة التحليل البنيوي (د. جاكوبسون). وبالنسبة للبنيويين يعتبر العالم الاجتماعي والانساني عالم إشارات، كما تستند البنيوية إلى علم رائد، هو علم اللسانيات.

نستنتج من مسيرة البنيوية في اللسانيات، فكرة أن اللغة هي نظام مكون من عناصر (مورفيمات وفونيمات) ترتبط في ما بينها بمبادئ التكامل والتعارض. وانطلاقا من ذلك شرع كلود ليفي ستروس بتقسيم الأساطير إلى وحدات بسيطة باحثا في قوانين تركيبها. كذلك خضعت قوانين القرابة عنده إلى الخطوة الدراسية عينها.

الانتقادات التي وجهت إلى البنيوية:

رغم الانتشار الكبير الذي عرفته البنيوية وسط جماعة العلوم الانسانية، إلا أنها تعرضت إلى الانتقاد كسابقاتها.

- انتقد ريمون بودون الاستخدام الواسع لفكرة غامضة.
- بدوره انتقد هنري ليفغر الانحراف اللاتاريخي للبنيوية.
- كذلك أعلن ادغار موران ريبته بإرادة احتجاز العالم في اطار بعض القوانين السهلة.

عرفت البنيوية أفول نجمها في أواسط السبعينات، وهو ما أبرز عودة مجددة لمفهوم الفاعل والفرد، وانحسرت البنيوية بوصفها علما معياريا.

2/أهم ماجاء به كلود ليفي ستراوس:

فيلسوف و أنثربولوجي فرنسي ولد عام 1908 ولقد تأثر بعالم اللسانيات (جاكوبسون) . لقد طور البنيوية في الانثربولوجيا وذلك من خلال الكثير من أعمالها حيث طبق هذا المنهج التحليلي (البنيوي) بنجاح من خلال دراسة الأساطير في المراحل التالية:

1985-1971-1964- 1991 ومن خلال دراسته للعلاقات العائلية عام، 1949 وبعد ذلك نجده قد اتجه إلى دراسة التجمعات البشرية التي نعرف أنها تسمى بعلم الأثنيات اليوم، وكان ذلك بين عامي 1958 و 1962 إذ نجده في هذا العلم قد اعتمدت على المقارنة من خلال أنظمة الزواج والعلاقات العائلية ومن خلال المقارنة بين مختلف القبائل والتجمعات التي بحث فيها. وأن كل تجمع من هذه التجمعات البدائية تحكمه ثلاث بنيات وتسمى كذلك بالقواعد و هي:

بنية النسب، بنية السكن أو بنية المكان ، وبنية الميراث وعلى كل عنصر من الأفراد هذه التجمعات التي تشكل بنية وأن لا يخرج على النسق ، فهو مفروض فرضا إلزاميا على هذه التجمعات وعلى كل أفرادها.